# الآلهة والرعيـــــة والعـــذاب

الدكتور حامد الظالمي/ جامعة البصرة

قد نختلف مع الدكتور عابد الجابري المفكر العربي المعروف في كثير من طروحاته القيمة ولكننا قد نتفق معه عندما يصل إلى نتيجة مهمة (في كتابه العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته) وهي (أن العقل السياسي العربي مسكون ببنية المماثلة بين الإله والأمير...) أو في أضعف الأحوال أن يكون الأمير نائباً عن الإله أو وكيلاً له أو هو مجسد له على الأرض أو هو ظل الله في الأرض، وهكذا فإن فكرة (تأليه الملك أو الإمبراطور (كما يقول الدكتور إمام عبد الفتاح إمام في كتابه الطاغية ص ٣٨) هي صناعة شرقية محلية ولهذا شهد الشرق أسوأ أنواع الطغيان وإن الإسكندر لم يفكر في تأليه نفسه إلا في الشرق موطن تأليه الحاكم ولهذا كانت آسيا هي الأصل والمنبع للاستبداد في كل الفلسفة السياسية الأوربية...) لأن الفلسفة اليونانية كما يقول الجابري في بحثه (مفاهيم الحقوق والعدل ص٤١) (لا وجود لمثل تلك الفكرة فيها وإنما الفكرة هي فارسية قديمة وغالباً ما ترتبط بكسرى أنوشروان وأن المدينة اليونانية تعتمد نظام التوازن بين الطبقات وأن الحاكم ينتخب من الذين يحق لهم ذلك أي بدرجة المواطن وأما العبيد فهم الات..) وفكرة الرعية والأمير أو الإمبراطور فكرة شرقية فالناس رعايا للإمبراطور وهو الراعي لهم ويكمل الجابري قوله وبما (أن لفظ الراعي لا يقال في حق الله تعالى في الإسلام فهو ليس من أسمائه الحسنى ولم ترد كلمة راع ولا كلمة رعية في القرآن قط وإن كانت اللفظة موجودة في أحد الأحاديث النبوية) لذا يعتقد الجابري أن مفهوم المواطن هو أقرب لروح الإسلام من مفهوم الرعية.

ولعدم وجود هذه اللفظة (أي الراعي) في القرآن استنتج الجابري خلو الفكر العربي من تلك الفكرة وإنها طارئة عليه من الجوار وهكذا تستنطق اللغات لاكتشاف العقل الكامن خلفها فالكواكبي مثلاً يقول (إنه يستدل على عراقة الأمة في الاستعباد أو الحرية باستنطاق لغتها هل هي قليلة ألفاظ التعظيم كالعربية مثلاً، أم هي غنية في عبارات الخضوع كالفارسية وكتلك اللغة التي ليس فيها بين المتخاطبين أنا وأنت بل سيدي وعبدكم) (طبائع الاستبداد المؤلفات الكاملة ص٤٦١) ومولانا وجنابكم وسعادتكم و...، وهكذا يتطور الأمر ليصل إلى التلاعب بالمشاعر والضحك على العقول ونشر البدع والتركيز على المباحث المختصة بالعالم الآخر ووصفها وتضييع الأوقات والساعات بها دون الالتفات إلى مهمات الإنسان في الحياة الدنيا والتنبه لما فعله الطغاة، وهكذا يأمن المستبد بهذه العلوم لذا ترتعد فرائصه من العلوم العقلية والاجتماعية والسياسية ويخاف من أصحاب هذه العلوم فهم العلماء العاملون والخوف منهم لا الذين جعلوا من عقولهم مكتبات مقفلة لعلوم بعيدة عن واقع الحياة، ويصف الكواكبي هذه الحالة بقوله (فكما إنه ليس من صالح الوصي أن يبلغ الأيتام رشدهم كذلك ليس من غرض المستبد أن تتنور الرعية بالعلم..) (ص٤٥٧) ووفقاً لذلك أي لكون الأمير أو الراعي ممثلاً للآلهة فلا يحق لأحد انتقاد ما يفعله هذا الأمير ولا يسأل أحد عما يفعل لأنه ولي النعم وهذه (الحالة هي التي سهلت في الأمم الغابرة المنحطة دعوى بعض المستبدين الألوهية على مراتب مختلفة حسب استعداد أذهان الرعية، حتى يقال إنه ما من مستبد سياسي إلى الآن إلا ويتخذ له صفة قدسية يشارك بها الله أو تعطيه مقام ذي علاقة مع الله ولا أقل من أن يتخذ بطانة من خدمة الدين يعينونه على ظلم الناس باسم الله. وأقل ما يعينون به الاستبداد تفريق الأمم إلى مذاهب وشيع متعادية تقاوم بعضها بعضاً فتتهاتر قوة الأمة وتذهب ريحها فيخلو للاستبداد ليبيض ويفرخ، وهذه سياسة الإنكليز في المستعمرات لا يؤيدها شيء مثل انقسام الأهالي على أنفسهم وإفنائهم بأسهم بينهم بسبب اختلافهم في الأديان والمذاهب) (كتاب طبائع الاستبداد للكوكبي المؤلفات الكاملة ص٤٤٤).

فكرة الرعية التي ذكرها الجابري فيما سبق كان الفيلسوف الفرنسي مشيل فوكو قد مارس فيها حفراً معرفياً استنتج في ضوئه أن فكرة الرعية كانت شائعة بكثرة في حضارات الشرق القديم في مصر وآشور وفلسطين. ففرعون كان يعتبر راعياً وكان يتلقى عصا الراعي في إطار الطقوس الخاصة في حفل تتويجه أما ملك بابل فلقد كان له أن يتقلب براعي الناس من جملة ألقاب أخرى، ويضيف فوكو أن الجمع بين الملك والإله هنا من خلال إطلاق لفظ الراعي على كل منها شيء يفترض نفسه لأنهما يقومان معاً بنفس الدور ومن البابليين والمصريين القدامى يتنقل فوكو إلى العبرانيين ليلاحظ أنهم هم الذين وسعوا من استعمال مفهوم الراعي والرعية وهذا يظهر من تكليف داود بجمع القطيع (بني إسرائيل) ليؤسس ملكاً. وكما هو وارد عند أحد شراح سفر الخروج مخاطباً يهود (تقود شعبك بيد موسى وهارون كما يقاد القطيع من الغنم) (العقل السياسي العربي ص٤٠) هذا الحفر المعرفي للعقل الكامن خلف اللغة (الميتالغة) يناسبه حفر آخر يقوم به الدكتور إمام عبد الفتاح إمام في كتابه (الطاغية ص١٧٨) عندما يتحدث عن لفظة السياسة العربية قائلاً (ربما كان المعنى اللغوي لكلمة السياسة العربية تعبيراً دقيقاً عن فكرة الإنسان الحيواني المتوحش الذي يروضه الحاكم ويذهب من سلوكه كما يفعل السائس مع الخيل الجوامح. فالسياسة في الأصل كما يقول ابن منظور (القيام على الشيء بما يصلحه والسياسة فعل السائس يقال يسوس الدواب إذا قام عليها وراضها والوالي يسوس رعيته) لسان العرب لابن منظور ٢/ ٢٣٨ - ٢٣٩) وهكذا فالحاكم كمروض الخيل يسوس الناس ويوجههم إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم وهي فكرة تجعل الناس قصراً لم ينضجوا بعد) (كتاب الطاغية ص١٧٨).

ولكن هل يصل الأمير الإله الراعي بجهده الخاص إلى تلك المرتبة؟ نستطيع أن نقول لا يصل الحاكم الإله الراعي الطاغية إلى هذه الفكرة ما لم توجد ثقافة تدفعه أو تقف وراءه وهذه النماذج تؤكد ذلك.

فمثلاً الدكتور برهان غليون المفكر وصاحب الكتب المهمة ككتاب اغتيال العقل العربي وكتاب سياسة الدين والدولة عند مشاهدته فيلم المخرج العراقي سعد سلمان عن أوضاع العراقيين قال إنه لا يعرف شيئاً عن حملة الأنفال سيئة الصيت التي قتل فيها صدام أكثر من ١٢٠ ألف كردي ودمر المئات من القرى وغير ذلك (مثقفون ومواقف، عبد الكريم كاصد مجلة الثقافة الجديدة ص١٥).

والدكتور الجابري الذي أفدنا من طروحاته السابقة على الرغم من كونه مفكراً معروفاً من وزن لا يستهان به (وقف مأخوذاً أمام تكنولوجيا صدام وزراعة البعثيين القمح بعد حصاد الرز إلى آخر هذه الترهات عند زيارته للعراق دون أن يدري وهو الذهن الموسوعي أن زراعة القمح في مناطق الرز المغمورة بالمياه غير ممكنة) (مثقفون ومواقف عبد الكريم كاصد ص٤٣).

هذا الأمر ليس غريباً فقديماً عندما تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة عام ٧١هـ يقول السيوطي في تأريخ الخلفاء ص٢١٩، ٢٤٦ (أتى بأربعين شيخاً شهدوا له ما على الخلفاء حساب ولا عذاب) وكذلك الحال مع مؤرخنا ابن كثير فهو يقول في كتابه البداية والنهاية عن يزيد بن معاوية (كانت وقعة الحرة الشهيرة التي ضربت فيها المدينة بالمنجنيق وأبيحت ثلاثة أيام سرقت ونهبت واغتصبت فيها ألف عذراء ومفاسد عظيمة ليس لها حد ولا وصف) وبرغم قول السيوطي في تأريخ الخلفاء ص٢٠٩ عن يزيد (هو رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة) إلا أن لابن كثير قول (إن الإمام الفاسق لا يعزل بمجرد فسقه على أصح قولي العلماء بل ولا يجوز الخروج عليه لما في ذلك إثارة الفتنة ووقع الهرج وسفك الدماء الحرام ونهب الأموال وفعل الفواحش مع النساء وغيرهن) ولنأخذ خالد بن عبد القسري مثالاً آخر، ففي ليلة عيد الأضحى لسنة ١٢٠هـ وفي صلاة العيد وقف هذا الرجل وهو والي الكوفة على المنبر قال: (أيها الناس إذهبوا وضحوا بضحياكم تقبل الله منا ومنكم)، أما أبو العباس السفاح فله حادثة ذكرها ابن الأثير في الكامل ٣/ ٥٠١، ٥٠٢، دخل شبل بن عبد الملك مولى بني هاشم على السفاح وعنده كبار بني أمية مستسلمين بعد أن انهارت دولتهم فأنشده قصيدة خبيثة حثه فيها على قتل خصومه السياسيين يقول فيها:

أصبح الملك ثابت الأساس
بالبهاليل من بني العباس
بالصدور المقدمات قديماً
والرؤوس القماقم الآراس
أقصها أيها الخليفة وأحسم
عنك بالسيف شأفة الأرجاس
فلقد ساءني وساء سوائي
قربهم من مجالس وكراسي
واذكروا مصرع الحسين وزيد
وقتيل بجانب المهراس
أقبلن، أيها الخليفة، نصحي
واحتياطي لأمركم واحتراسي

فأمر الخليفة بذبحهم جميعاً، ثم جلس على البساط الذي فوقهم وتناول طعامه على البساط وهم يتقلبون في جراحهم ويسبحون بدمائهم) وهذا ما سجله التأريخ عن قتل المخالفين ولكن التاريخ يصف لنا السفاح بأنه رجل شديد التدين وكان نقش خاتمه (الله ثقة عبد الله وبه يؤمن) وقال التاريخ عنه (إنه كان كريماً حليماً وقوراً عاقلاً كاملاً كبير الحياء حسن الأخلاق) وحادثة أخرى تشبه تلك يذكرها لنا السيوطي في تاريخ الخلفاء ص٢٥٩ قائلاً: (أما عبد الله بن علي فقد تتبع بني أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم فقتل منهم في يوم واحد اثنين وسبعين ألفاً) عند نهر بالرملة وبسط عليهم الانطاع (وهو بساط من الجلد) ومد عليهم سماطاً فأكل.. حتى اذا ما فرغ من طعامه قال ما اكلت اكلة أطيب من هذه ثم حفر بئراً وألقاهم فيها) لا اعرف مدى دقة هذه الاخبار ولكنها تؤكد على وجود السادية في الحكم من قبل أي طرف تجاه الاخر.

أما ابو جفعر المنصور فهو يجسد لنا خير تجسيد صورة سلطان الله في ارضه التي عالجناه فيما سبق، فالرجل وقف يوم عرفة خطيباً وقال ((أيها الناس، إنما انا سلطان الله في ارضه، أسوسكم بتوفيقه وتسديده وتأييده، وحارسه على ماله، أعمل فيه بمشيئته وإرادته وأعطيه بإذنه فقد جعلني الله عليه قفلاً إذا أشاء ان يفتحني فتحني لإعطائكم وإذا شاء ان يقفلني عليه أقفلني) (العقد الفريد لابن عبد ربه ٤ / ١٨٦ تأريخ الخلفاء للسيوطي ٢٦٣ الكامل في التأريخ لابن الاثير ٣ /٥٦٦) هذا السلطان المسدد والموفق بالله! قام بتعذيب أبي حنيفة وحبسه وجلده ودس السم له في النهاية لانه رفض ولاية القضاء وجلد الامام مالك وهو عاري الجسد غير مستور العورة تشهيراً به لذكره حديثاً عن الرسول لم يعجبه.

وهكذا مارس اجدادنا العظماء! الذبح احدهم تجاه الاخر فالزيات معروف بتنوره الذي عذب به الكثير من معارضيه واعتقد ان فكرة التنور اخذها من فلاريس طاغية أجر يجنتم في صقلية الذي حكمها عام ٥٦٥ ق.م فقد كان يشوي المساجين من اعدائه في مملكته بوضعهم داخل ثور نحاسي ضخم ثم يوقد تحته ناراً هادئة ويضع قصبتين تشبهان المزمار في منخري الثور بطريقة فنية بارعة حيث تتحول أنات المساجين وصرخاتهم- حين تصل الى اذنيه- يسمعها كنغمات والحان موسيقية شجية! من هذه النصوص يتبين ان ثيمة العذاب واحدة عبر العصور وفكرتها واحدة ولكنها بأشكال مختلفة حسب الحاجة وان الحرب والقتل أسهل بكثير عندنا من فكرة السلام والحوار لاننا قد استوردنا كل الافكار الخاصة بالعذاب وطورناها وما دمنا غير قادرين على تقديم مشروعنا الديمقراطي، فلماذا لا نوكل الامر الى شركات متخصصة بالديمقراطية تبيعها في اسواقنا بعد التعليب. كم مرة هي الحقيقة؟ ولأخوف ما نخاف منه مستقبلاً هو الانقسام الطائفي الذي سيمزق الجسد العراقي وغياب الحوار والتفكير الواقعي. لذا يفترض فينا اعادة القراءة لكل التابوات التي تقف في طريق وحدتنا الوطنية، عن طريق ممارسة التعددية الفكرية والسياسية والحوار النقدي الصريح مع الذات ومع الاخرين. دون انتظار قدوم الابطال من الخارج او من الداخل ليبنوا هذا الوطن الجريح (فويل للامة التي تنتظر بطلاً كما يقول بريخت فان هذه الامة تنتظر اطوارا اخرى من العذاب المؤجل)، لذا فنحن بحاجة الى عقلية مناهضة تماماً لثقافة القوة والعنف وتقديس الموت، عقلية الايمان والحوار والاقناع والجهاد الثقافي السياسي الصبور ضد مفاهيم الخنوع لمنطق الاشقياء والاقوياء كما يقول سليم مطر ذاته الجريحة ص٣٧٠ ولسنا بحاجة الى ثقافة تمجد الحروب وتبشر لها الابواق كالياسري عندما يسرق نص جورج صيدح الذي نادى به وطنه قائلاً:

أني لابذل انفاسي بلا ثمن
حتى اراك كما اهواك يا وطني

فغيّره الياسري ليصبح

أني لابذل اطفالي بلا ثمنٍ
حتى اراك كما اهواك يا وطني

وبأخرى مادحاً سيده

تأمل في الوجود بعين فكر
تر الدنيا الدنية كالخيال
ومن فيها جميعاً سوف يفنى
سواكم سيدي يا ذا الجلال

هكذا يستمر مسلسل العنف وتتبلور ثقافة ايديولوجيا وتظهر صور اخرى منه ولكن ليست على شكل قتل وحرب بل على شكل نكتة سياسية تسخر من هذا وذلك وتعد المتنفس الآخر للسادية في النفوس، وهي وإن كانت أقل خطراً الا انها وفي الوقت نفسه تعد متنفساً قمنا بصناعته كما يقوم المدراء في اليابان بنصب تمثال مطاطي يشبه المدير كي يقوم الموظفون بالتعبير عن شعورهم تجاه المدير مع هذا التمثال المطاطي فيضربونه لافراغ ما في انفسهم عليه.وهذا ما نشاهده مع تمثال صدام عندما قامت الناس بافراغ شحنتها العاطفية عليها ضرباً فما هذه الحالة الا متنفس عن كرههم لذلك الشخص. ولعلنا نوصي باستيراد تماثيل من اليابان لافراغ الشحنة العاطفية التي عندنا عليها ولكننا في الوقت نفسه لا ندري ان كان الاخرون سيضعون لنا كاميرا خفيه لاصطيادنا عندما نعتدي على الشخص المطاطي ثم يؤدون الواجب معنا!

# قراءة في كتاب بلديـــة كوبنهاجن !

**حددتُ في ذهني الشريحة التي ستقرأ المقال، ألا وهي العراقيون في الداخل، بينما تدور في بالي الكثير من الأسئلة. إذ وقع بين يدي كتاب صدر حديثا، أنيق جدا، غلافه من الورق المقوى الصقيل الملون المصمم بشكل أنيق بسيط يناسب الذائقة الدنماركية، وفوق ذلك فهو يوزع مجانا.**

دنى غالي/ الدنمارك

الكتاب المذكور يتناول تجربة خمسة من اللاجئين من مختلف الجنسيات نجحوا في الحصول على عمل في فترة قصيرة نسبياً و خاضوا تجربة اندماج تعَد ناجحة وفق مقاييس المجتمع الدنماركي، وهو يحمل عنوان (الحرية هي أثمن شيء)، تصل عدد صفحاته الثمانين، والصادر من قبل أكبر وأهم أقسام هيئة الشؤون الإجتماعية عموماً وهو قسم سوق العمل التابع لإحدى بلديات كوبنهاجن، التي تعد نسبة اللاجئين الساكنين فيها متوسطة، الأمر الذي له علاقة بالخطة التي وُضِعتْ ضمن السنوات الأخيرة لتوزيع الأجانب قسرياً على البلديات وهي خطة بتقدير الحكومة تحول دون تمركز اللاجئين والمغتربين في بلدية دون أخرى فتسبب في نشأة الغيتوهات التي تعمل على عزل اللاجئ واغترابه عن محيط البلد، وهذه ما زالت نقطة للمناقشة فهناك رأي يقول بأن تلك المجمعّات هي بمثابة وطن مُصغّر للاجيء من شأنه أن يخفّف عليه غربته.

مشكلة اندماج الأجانب بالمجتمع الدنماركي هي ورقة الأحزاب المهمة لكسب أصوات ناخبين لها، لذا تراها تتبارى في طرح الخطط وتعديل القوانين وإلغائها بما يخص هذه الفئة، والحكومة الجديدة التي جاءت قبل ثلاث سنوات شكلتْ وزارة خاصة تدعى بوزارة الإندماج وهي تعني حصرياً بشؤون اللاجئ والمغتربين. هذه الوزارة قلبتْ السياسة الموضوعة بشأن اللاجئين رأساً على عقب، سياسة توائم نهج الحزب الحاكم وهو اليسار اليميني التوجه بتحالفه مع الحزب اليميني المتطرف (حزب الشعب الدنماركي). وقد حصل الحزب الحاكم على أغلبية الأصوات على أساس رفضه لسياسة الحزب الإشتراكي الديمقراطي الذي حكم الدنمارك سنين عديدة مما أفقد المجتمع الكثير من الخصائص ذات الطابع الإشتراكي. خصصت وزارة الإندماج مبالغ كبيرة لمشاريع تنشيط اللاجئين وإعدادهم لسوق العمل الدنماركي من أجل إعالة انفسهم وعوائلهم، وبهذا فاللاجئ ومنذ اليوم الأول لحصوله على الإقامة مُطالبٌ بدراسة اللغة الدنماركية، بالإضافة إلى الإلتحاق بأحد مشاريع التنشيط المختلفة والمحدودة بنفس الوقت التابعة عموماً إلى البلدية التي يسكن فيها، ويكون ذلك بمعدل دوام يتراوح بين ( ٣٢ - ٣٧ )ساعة في الأسبوع، إسوة بالدنماركيين وغير الدنماركيين الموظفين والعاملين في المجتمع نساءً ورجالاً، يُستثنى بالطبع منهم الذين تعرضوا للتعذيب في بلدانهم ممن يعانون من أمراض نفسية وصدمات، أو المرضى الذين يحول مرضهم دون ذلك، وتلك المشاريع ولا سيما في الفترة الأولى من إقامة اللاجئ لا تأخذ بالحسبان تخصص اللاجئ ودرجة تعلّمه التي جاء بها من بلده، بقدر حرصها على إلحاقه بمكان ما يوحي له بأنه مكان عمل له شروطه، أي يُجبر اللاجئ على أن يغادر بيته صباحاً إسوة بالموظفين والعاملين في المجتمع والعودة عصراً، وفي حالة تخلّف اللاجئ عن البرنامج الموضوع لفترة اندماجه بالمجتمع كما يطلق عليها، تكون العقوبة قطع نسبة من المعونة المادية التي قد قُلّصتْ أساساً إلى حد كبير قياساً بما كان مخصص من قبل. وذلك جاء رداً على حكومة الحزب الإشتراكي الديمقراطي، كما تصرّح الحكومة الجديدة، والذي عاش تحت ظلها اللاجئ سنوات دون أن يحقق أدنى نجاح، يستلم معونته وهو جالسٌ في بيته وينصرف إلى همومه عاطلاً سلبياً لا يشعر بقيمته، تكبر في دماغه صور اختلاف هذا المجتمع عن مجتمعه دون مناقشتها أو معايشة المجتمع الذي يرفضه لتفنيدها، وقد كشفت الدراسات بأن هناك عوائل عاشت متخلفة حتى عن أهلها في بلدانهم مثل بعض العوائل التركية نتيجة انطوائها وعزلتها، والحزب الحاكم أراد بذلك أيضا كسب الأصوات بامتصاص نقمة المتطرفين من حزب الشعب الدنماركي المتطرف الذين يعلنون تذمرهم من دفع الضريبة من رواتبهم ليذهب الجزء الكبير منها لإعالة اللاجئين الذين يتلقون المساعدات الإجتماعية.

ليس الأمر بالسهل كما نظنه أول وهلة وقد اخفقت الحكومة في سياستها أيضاً نتيجة لصغر بلد مثل الدنمارك واستيعابه المحدود للأيدي العاملة لذا اقتصرت الفرص بالنهاية على القطاع الخدمي، إذ يصعب أيضاً في بلد متقدم، كما نعرف، الحصول على عمل دون تعليم وشهادة سواء كانت المهنة قصّابا أو كتاساً. أن يكون اللاجئ (إسطة) في البناء، عمل لعشر سنوات أو عشرين سنة في هذا المجال لا يكفي إطلاقا لضمان حصوله على عمل، إذ تلعب اللغة، إلى جانب عوامل أخرى عديدة، دوراً أساسياً مهماً في حصوله على العمل، من خلالها سيتمكن من فهم زملائه في العمل والتفاهم معهم، من خلالها يمكنه قراءة جدول العمل، المواعيد، يشترك في الدورات التأهيلية المفروضة عليه بين فترة وأخرى، قراءة وفهم قوانين السلامة والصيانة، والتحذيرات بخصوص المواد الكيمياوية، مكوناتها وغيره من القوانين ما هو مثار سخريتنا، و ما يغيب عن بالنا تقدير قيمته والذي - وهذا هو الأهم - يُعد ضرورياً وفق شروط وقانون سوق العمل الدنماركي.

نعود إلى موضوع الكتاب الذي جرَّ إلى كل هذه التقدمة، فهناك من ضمن الخمسة إثنان عراقيا الجنسية، الأول طبيب وقد حصل على عمل ضمن اختصاصه، والثاني معلمة ابتدائية حصلت على عمل في مطعم مخصص لخدمة موظفي شركة تجارية يصل عددهم إلى ٤٥٠ موظفاً. العمل شيء أساسي هنا بل هو هوية الدنماركي قبل كل شيء، وعندما نقول إن العمل شرف فهو كذلك مئة بالمئة، مهما اختلف التخصص، وخصوصاً وإن قانون العمل والنقابات المهنية التي ينتمي لها تقريبا جميع العاملين في الدنمارك تضمن للعامل حقوقه، مما يضمن للجميع بالتالي كحد أدنى السكن والطعام والشراب والملبس.

كما أن الحصول على عمل هنا يعني بأن اللاجئ تمكّن من اجتياز معوقات لا يُستهان بها في هذا المجتمع الهوموجينيوس، وأثبت لنفسه، قبل أن يثبت لهذا المجتمع، بأنه قادر على المواصلة والتغلب على الصعاب، وبأنه شخص إيجابي له قيمته كإنسان، كما له دوره في حركة بناء المجتمع الذي يعيش فيه، ويثبت أيضاً بأنه شخص غير اتكالي، يقدّر ثمن استقلاليته ويدافع عن حريته بكل صورها، وهو بالتالي إثبات لسبب تغربه عن بلده، لن كانت أسباب لجوئه سياسية، ومن ناحية أخرى فهو في رأيي إثبات لفئات من الدنماركيين يغيب عن بالها —على سبيل الحصر، بأن العراق الذي جئنا منه ليس كله جهل وفوضى وديكتاتورية وأمية.

هذا ما أحرص من جانبي وعلى الصعيد الشخصي التأكيد عليه، ولكن من خلال عملي السابق في أمكنة مختلفة مع عوائل اللاجئين ضمن أقسام الإندماج التابعة للجان الشؤون الإجتماعية التابعة للبلديات المختلفة، وفي الروضات والمدارس لامستْ حقائق أخرى عكستْ وللأسف صوراً مشوهة عن العراق والعراقيين ألا وهي السلبية والإنعزال، الكسل، رفض الآخر والتعلل بالتقاليد والدين والأعراف، اتباع شتى صنوف التحايل والغش والكذب دون داع وبشكل ساذج يدعو للخجل أحياناً، والأهم الذي يدعو إلى الحزن هو عدم إحساس الفرد بقيمته في المجتمع ودوره في البناء، عدم تحرّجه من طريقة عيشه إن إدعى بأنه يعيش.

وهنا أصل النقطة التي وددتُ بالفعل الإشارة إليها، وها أنا أدرك بأنها هي منطلقي في كتابة المقال، ألا وهي المنشور أو الكتيب الصغير الذي وُزّع على هامش الإحتفالية التي أقيمت يوم صدور الكتاب الذي سبق وإن ذكرته، وقد حضره عمدة البلدية وكبار موظفيها. المنشور منفصل عن الكتاب، وبينما الكتاب موجهٌ في الغالب إلى الدنماركيين حيث يتم فيه التركيز على سرد قصة حياة كل مشترك من الخمسة وأسباب لجوئه وكيفية حصوله على عمل، جاء المنشور موجهاً للاجيء في مرحلة تنشيطه، أو تطبيقه في مكان عمل اعتيادي. المنشور يحمل العنوان وبترجمة عراقية (أصول اللعب في أماكن العمل الدنماركية). كنتُ أثناء فترة عملي قد اطلعتُ على بعضٍ من فقراته عندما كان الأمر بأكمله مجرد فكرة أو محاولة لإيجاد طرق يمكن من خلالها إفهام البعض حقيقة الأمور ممن تواجه البلدية صعوبة في زجهم في سوق العمل، لكني اعترف بأن الأمر بدا لي فظيعاً عندما قرأتُ فقراته بأكملها مطبوعة في منشور يوزّع في أماكن عامة كالمكتبة المحلية التابعة للبلدية. وطرح السؤال نفسه هل نحن مَنْ أوصلنا الأمر بالمعنيين هنا إلى إصدار منشور كهذا؟

لن أناقش الجانب الدعائي الذي ترجوه البلدية من خلال نشاطها هذا فهناك مباريات ضارية بين البلديات للتطبيق الحرفي لقوانين تزداد صرامتها يوما بعد آخر بخصوص اللاجئين، وهناك مكافآت تصرف للبلديات التي تحوز مشاريعها على رضا السياسيين في البرلمان، لكن ليس كل المشروع دعاية، فالبلدية هي بمثابة وسيط بين اللاجئ وأماكن العمل المختلفة من أجل توفير فرص عمل أو أمكنة للتدريب والتأهيل، ريثما يتم تأهيل اللاجئ للعمل، بطريقة ما يكون دور البلدية هنا هو أيضا كضامن يُثبت لرب العمل في القطاع الخاص أو العام كفاءة اللاجئين للعمل. لذا أخشى بأن ليس كل ما جاء في المنشور محض أوهام، برغم إني أؤكد استهجاني لطبع منشور كهذا لما ينطوي عليه من إنقاص من شأن الأجنبي وقد بدا وكأنه خطاب موجه لشعوب لم تقرأ أو تعمل في حياتها، رغم تأكيد القائمين على إعداده في صفحته الأولى رغبتهم بإيضاح ما يتطلبه مكان العمل من كل موظفيه لمن لا علم لهم بضوابط العمل في المجالات المختلفة، ويأملون من خلال هذا المنشور تسهيل يوم عمل اللاجئ وتعريفه بما يجب عليه أن يتنبّه له.

من ناحية أخرى ولأنني كنت على المحك مع تلك المشاريع من خلال عملي أعلم بأن الفقرات وإن جاءت بشكلها الفجّ الساذج الذي رفض العديد من العاملين الدنماركيين طريقة الطرح فيه، أعلم أيضاً بأن المادة التي جُمِعَت في المنشور هي عصارة لتجربة الموظفين القائمين بدور الوسيط بين أرباب العمل واللاجئين- أخصُّ بالذكر منهم العراقيين الذين قدموا في السنين الأخيرة إلى الدنمارك. وإلى جانب المنشور فالبعض من الموظفين قد توصل بكل ثقة، كما يصرِّح أحدهم، إلى فهم أسباب تأخّر تلك الشعوب التي قدمَ منها اللاجئ.

وأنا سأترك للقاريء في النهاية أن يطّلع على المنشور الذي قمتُ بنقله وترجمته بإيجاز، إذ قد دُرِجَتْ النقاط في فقرات تشرح مع الأمثلة ما يتوجب على اللاجئ الإنتباه إليه تحت عناوين رئيسة حملت باختصار التالي:

### الإستقرار:

-الإلتزام بالحضور للعمل بالوقت المحدد.
-الإتصال صباحاً في حالة المرض او تأخرك لعائق ما.
-الحرص على أن تكون مواعيد الطبيب وطبيب الأسنان وغيرهم خارج أوقات العمل.
-إشعار مسبق بموعد العطلة التي تنوي أخذها.
-وقت الدوام يجب أن يستخدم للعمل فقط.

### موقفك من العمل:

-أن تكون إيجابياً في محيط عملك.
-أن تبدي اهتماماً بعملك، راغباً بتعلم الجديد.
-أن تكون مرناً بخصوص القيام بواجبات اخرى غير الواجبات الملقاة على عاتقك.

أداء مهام العمل:

-تقوم بما يطلبه منك رب العمل.
أن تشعر الآخرين بقيامك بالمهمة الموكل بها.
-أن تكون مبادراً وأن تعتمد على نفسك بحل المهام.
-أن تكون متعاوناً مع الآخرين.
ان تنفذ مهامك بإخلاص.
-إسأل دوما إن استعصى عليك شيئاً.
-كن مع الجميع في مهام أخرى غير العمل سواء في عمل القهوة أو تعزيل طاولة وإلخ.

### الجانب الإجتماعي:

-تحدث بالدنماركية مع زملائك إن كان الثالث لا يفهم اللغة التي تتحدثها مع زميلك
-شارك الآخرين الأكل وقت استراحة الظهيرة في العمل ولا تتردد وتنزوي.
-فكّر بما تقوله لزميلك في حضور وعلى مسمع زبون فقد يضر ذلك بالشركة التي تعمل فيها.
-قل صباح الخير ومع السلامة. احترم رب عملك رغم إن من الطبيعي أن يبدو المدير في الدنمارك متواضعاً وغير رسمي في تعامله ويأكل مع موظفيه وقت الإستراحة في مطعم الشركة او الدائرة أو ورشة العمل. تحدث عن نفسك وعائلتك إن رغبت، للتعرف عليك. أن تسأل في حالة عدم فهمك لمزحة أطلقها زميل أو تعليق ناقد. أن تهتم بهندامك، فالتعرق، الأنفاس الكريهة قد ينفر الآخرين منك. اختر لباساً يشبه لباس الآخرين قدر المستطاع، استخدام عطر ومكياج وتسريحات مبالغ فيها قد تجعلك نافراً بين الباقين.
-صافح الجميع عند اللقاء نساءً ورجالاً واترك مسافة بينك وبين الذي تتحدث معه فالبعض يربكه القرب الزائد.